

تمويل المدارس في العصر الأيوبي

إعداد

محمد إبراهيم الداودي
مدرس الدراسات الاجتماعية
بمدرسة الفيروز الحديثة للغات

المقدمة:

على الرغم من أن الدولة الأيوبية كانت دولة إسلامية مجاهدة منذ بدايتها إلى نهايتها، حيث إقترنت بدايتها بنصر حطين الذي استردت فيه بيت المقدس ثم إقترنت نهايتها بنصر المنصورة، إلا إن هذا الجانب العسكري المنتصر كان يواكبه جانب آخر حضارى مزدهر فى شتى ميادين العلم والمعرفة .

ومن المعروف أن الأيوبيين كانوا أكراداً بأصلهم ونسبهم ولكنهم فى الواقع كانوا عرباً بثقافتهم وتربيتهم ونشأتهم، فقد نشأوا نشأة عربية إسلامية وامتزجوا بها ولهذا شقوا باللغة العربية وأدبها وعلومها وقربوا إليهم للشعراء والعلماء والكتّاب وشملوهم بعطفهم وكرمهم واهتلتهم وخلصهم فاكتظت مجالسهم بأهل العلم والأدب^١

لذلك فلا عجب أن يحتل سلاطين الأيوبيين مكانة بارزة بين المسلمين فى الاهتمام بالعلم والثقافة والتعليم، حتى أصبح للعصر الأيوبي سمة خاصة ميزته عن العصور الإسلامية الأخرى^٢.

فقد شهد العصر الأيوبي نهضة فكرية وثقافية وأدبية ودينية ولأدلى على ذلك من النتاج العلمى والمؤلفات الكبيرة التى تزخر بها المكتبات الإسلامية إلى جانب الشخصيات البارزة التى تألفت ونالت حظها فى ميدان الفكر والدين والسياسة^٣.

أن تشجيع الحركة العلمية حقيقة لم تكن وليدة البيت الأيوبي وإنما يرجع ذلك إلى ظهور الإسلام حيث كانت أولى آياته تأمر بالقراءة والعلم، ومن هنا أصبح العلم شعار الإسلام والحث عليه وتشجيعه ولجب أساسى وفرض على كل مسلم ومسلمة .

وتميز العصر الأيوبي بلزدهار الحياة العلمية والثقافية، حيث عمل صلاح الدين ومن بعده على تشجيع الفقهاء والعلماء وتكريمهم والإغداق عليهم وبناء المساجد ومدارس القرآن والحديث^٤ (١)

^١ أحمد عمار الهادى، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٤ .

^٢ عبد العظيم رمضان، تاريخ المؤلفين فى مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٣٩ .

^٣ محمد عبد الفتاح عاصم، مصر والشام فى عهد الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥، ص ٨٠ .

^٤ نعمان سليمان، ميدان صلاح الدين فى الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٣ .

والثابت أن صلاح الدين وجميع سلاطين البيت الأيوبي أحبوا العلم والعطاء فكان صلاح الدين الأيوبي يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع إليهم ويشاركهم أبحاثهم كما كان يشارك بنفسه في تشييع جنائزهم^٥.

كذلك عمل صلاح الدين منذ أن كان وزيراً للعاضد علي نشر العلم والثقافة حيث كانت تحذوه رغبة أكيدة في ضرورة تحويل مصر من المذهب الشيعي إلى المذهب السني^٦.

ونتيجة لاهتمام الأيوبيين بانشاء المدارس فقد حرصوا على تخصيص مولود مالية كبيرة للإتفاق عليها ودعم العملية التعليمية ودفع المرتبات للأستاذة والهيئة العلمية والإتفاق على الطلبة حتى تتيسر لهم سبل العيش الكريمة^٧.

ومن هذا المنطلق فقد تعددت سبل ومصادر الإتفاق على للتعليم في العصر الأيوبي ، فقد شملت الأوقاف التي تعتبر أهم مصادر التمويل في هذه الفترة ، وإذا تتبعنا الأوقاف التي حُبست على مدارس مصر الأيوبية لرأينا أن كل مدرسة كان لها وقف معين^٨.

فالمدرسة الناصرية أوقف عليها صلاح الدين الصاغة التي كانت بجوارها أما المدرسة القمحية فقد أوقف عليها قيسارية الوراقين وضبعة بالفيوم مقرها الجنبوشية^٩.

كذلك من مصادر تمويل التعليم في العصر الأيوبي كان هناك عطاءات السلاطين والحكام وهذا المصدر لم يكن ثابتاً وإنما يتوقف علي مدى الهبة من قبل الحكم والسلاطين فعلي سبيل المثال كان الملك الكامل يكرم العطاء ويطلق لمن يلتحق منهم الأرزاق فمن قصده تاج الدين الأرموي وفضل الدين الخونجي والقاضي شمس الدين قاضي العسكر وهؤلاء أئمة وقتهم في ذلك العصر^{١٠}.

^٥ السبكي ، طبقات الشافعية ، تحقيق محمود الطناحي ، ط ٤ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩

^٦ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط ٦ ، ج ٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١١٠

^٧ نجلاء حامد ، أماني عبد القادر ، تاريخ العربية والتعليم في مصر ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٨٦

^٨ محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ط ٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٢١

^٩ تقي الدين القزويني ، المواعظ والاعيان بذكر الخط والآثار ، دار التحرير ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣١٥

^{١٠} تقي الدين القزويني ، السلوك ، ج ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٥٩

كذلك كان هناك الهبات والإعانات والصدقات والتي كانت تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الاتفاق على التعليم في العصر الأيوبي، إلا أنه لم يكن مصدراً ثابتاً وإنما يرتبط بالأغنياء وكبار رجال الدولة، كذلك كانت هناك الأجور الخاصة والزكاة الشرعية ولكن هذين المصدرين لم يكونا مخصصين للتعليم، كما لم يكن له فيها نصيب دائم ثابت وإنما نصيب التعليم من الزكاة كان فردياً لا يتعدى بعض الفقراء والمشتغلين بالعلم الذين قد يصيبهم منها جزءاً.

هذه هي بعض مصادر تمويل التعليم في العصر الأيوبي والتي سوف يتم مناقشتها في هذا البحث تلك المصادر التي كان ينفق منها على المدارس وجميع دار العلم التي لقيمت في العصر الأيوبي.

أهمية البحث:

١- إبراز وتقييم الجوانب المختلفة لتاريخنا التربوي الإسلامي في عصر من العصور وهو يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث.

٢- كذلك ترجع أهمية البحث في أنه يحاول المساهمة في تقصي بعض موارد التعليم في العصر الأيوبي وأوجه الاتفاق على المؤسسات التعليمية في تلك الفترة من تاريخنا التربوي وهو مجال تندر فيه الدراسات حتى الآن رغم أهميته.

٣- قد يغيد المخططين والمهتمين بالتعليم المصري والذين يبحثون عن مصادر وصيغ جديدة لتمويل التعليم وتطويره.

٤- المحافظة على التراث التربوي الإسلامي في عصر طغت فيه النظم التربوية المختلفة على الشخصية الإسلامية حتى كانت أن تضع شخصيتنا الأصلية في خضم التيارات التربوية المختلفة.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث فيما يأتي :

- (١) إلقاء الضوء على نشأة المدارس في العصر الأيوبي.
- (٢) الكشف عن المصادر الحكومية والأهلية لتمويل المدارس في ذلك العصر وما أوجه أنفاقها.
- (٣) توضيح دور الأوقاف في تمويل المدارس في العصر الأيوبي .

مشكلة البحث وتساؤلاته :

تكاد المصادر والمراجع أن تجمع على ازدهار المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي في مصر ولكنها قلما تناولت مصادر تمويل هذا التعليم وكيفية الإنفاق عليه، ومن هنا يأتي البحث لمحاولة الإجابة على التساؤلات التالية :

- (١) ما طبيعة السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي المصاحب للعملية التعليمية في العصر الأيوبي ؟
- (٢) ما مدى إسهام الأيوبيين في غشاء المدارس ؟
- (٣) هل كان يظن على المدارس في العصر الأيوبي للطابع الديني ؟
- (٤) ما هي المصادر التي كان يعتمد عليها في تمويل المدارس في العصر الأيوبي ؟
- (٥) ما مدى دور الأوقاف في تمويل المدارس في العصر الأيوبي ؟

منهج البحث:

سوف يستخدم البحث المنهج التاريخي لمناسبته لطبيعة البحث ذلك المنهج التاريخي هو منهج ويسجل كل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ولا يوقف عند مجرد الوصف وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس علمية منهجية بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الماضي فقط فحسب وإنما تساعد على فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل^{١١}

ذلك أن المنهج التاريخي هو أحد المناهج العامة التي يستخدمها الباحثون في التربية وعلم النفس في حل المشكلات ومعرفة الأحوال والأحداث التي جرت في الماضي^{١٢} وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له ثم اختيار موضوع للبحث وجمع الأصول والمصادر واثبات صحتها وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين وتجري نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها^{١٣}.

الدراسات السابقة :

- (١) دراسة عبد القني عبد العاطي عن : التعليم في مصر زمن الأيوبيين^{١٤} .

^{١١} جابر عبد الحميد ، أحمد حيري كاظم ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٣٥ .

^{١٢} ديوبولد فان دالين ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط ٤ ، ترجمة محمد نبيل نوافل وآخرين ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠ ، ص ٢٥٥ .

^{١٣} حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٠ .

ويهدف هذا البحث إلى توضيح مظاهر العملية التعليمية في مصر في العصر الأيوبي كما يهدف إلى إلقاء الضوء على الاتجاه السني في مصر ودوره التربوي ودور الأيوبيين في نشأة المدارس والمساجد كمركز للتعليم في مصر في ذلك العصر وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج التاريخي. وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- (١) اهتمام الأيوبيين بالعلوم والآداب ومظهر ذلك إنشاء المكتبات ودور العلم.
- (٢) كان للدين في ذلك العصر سيطرة عظيمة على التعليم أدت إلى الاهتمام بإقامة المساجد وعمارته ورعايته والإشراف عليها.
- (٣) كان للتعليم في مصر في العصر الأيوبي أثره في ازدياد سلطة السنيين وقيام حركة إنشاء المدارس في القاهرة.

ومن أهم توصيات هذه الدراسة :

- (١) ضرورة الاهتمام بطلاب العلم فقد حرص الإسلام على جعل العلم حق لكل فرد في المجتمع.
- (٢) الاهتمام بالمعلم ورعايته حيث إنه عصب وعماد العملية التعليمية.
- (٣) لابد أن تضع الدولة قضية التنمية البشرية في مقدمة أولوياتها.
- (٤) ضرورة توثيق العلاقة بين معاهد العلم والبيئة المحيطة^{١٤}.

وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في استخدامها للمنهج التاريخي. بينما تختلف هذه الدراسة مع البحث الحالي في عدم التركيز على مصادر التمويل في العصر الأيوبي.

ومؤسف يستفيد هذا البحث من هذه الدراسة في التعرف على أن الأوقاف تسدهورت بسبب استخدامها للمساعدة على نشر مذهب أو لمحاربة مذهب وذلك كما استخدمها الأيوبيين لمحاربة مذهب الشيعة والجهاد ضد الصليبيين.

(٢) دراسة نصر جمعة محمد نصر عن:

الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي^{١٥}.

^{١٤} عبد الغني عبد الحادي ، العلم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

^{١٥} نصر جمعة محمد نصر ، الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٩٤ م .

ويهدف هذا البحث إلى إبراز مظاهر الحياة العلمية في صعيد مصر في العهد الأيوبي والمملوكي وقد استخدم هذا البحث المنهج التاريخي والوصفي .

وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

(١) أن مصر وصلت إلى أزهى عصورها أيام الأيوبيين حيث ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون والعمارة.

(٢) وجه الأيوبيين والمماليك اهتماماً كبيراً بمدن صعيد مصر ولذلك أنشأوا العديد من المساجد والمدارس بتلك المدن.

(٣) ازدهرت الحياة العلمية ازدهاراً ملحوظاً وانتعشت في العصر الأيوبي والمملوكي.

وكان من أهم توصيات هذه الدراسة :

(١) يجب أن تقوم وزارة الأوقاف باستخدام ريع الوقف في قروض لطلاب العلم وأسرهـم.

(٢) الاهتمام بمكتبات المدارس في مرحلة التعليم الأساسي لغرس حب القراءة لدى النشء.

(٣) ضرورة الاهتمام بالمعاهد العلمية والإتفاق عليها .

وتتفق هذه الدراسة مع البحث البحث الحالي في استخدامها للمنهج التاريخي بينما تختلف هذه الدراسة مع هذا البحث في تركيزها على العصرين الأيوبي والمملوكي معاً.

سوف يستفيد هذا البحث من هذه الدراسة في التعرف على كيفية تمويل المدرسة الناصرية فقد بلغ اهتمام صلاح الدين بهذه المدرسة أن أوقف عليها بعض الأراضي والعقارات لإتفاق من ريعها على مصاريف المدرسة ودفع رواتب المعلمين والطلبة كما أوقف عليها إحدى القرى والصاغة التي كانت بجوار المدرسة وعرفت هذه المدرسة بالمدرسة الشرفية

(٣) دراسة عادل إسماعيل عبد الحسيب : عن الاتجاهات التربوية في مصر في العصر الفاطمي^{١٦} وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهم الاتجاهات التربوية التي كانت سائدة في مصر في العصر الفاطمي. كما يهدف هذا البحث إلى إبراز علاقة هذه الاتجاهات التربوية بواقعنا التربوي وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج التاريخي .

¹⁶ عادل إسماعيل عبد الحسيب ، الاتجاهات التربوية في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ،

وكان من نتائج هذه الدراسة :

١- كانت العملية التعليمية انعكاساً للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر الفاطمي.

٢- أتاحت للمعلم من خلال قيامه بالتدريس العديد من الحريات مثل حرية اختيار الوقت واختيار طريقة التدريس.

٣- أتاحت للطلاب من خلال العملية التعليمية حريات ثلاث هي:

- أ - حرية اختيار المادة
- ب - حرية اختيار الأستاذ
- ج - حرية إبداء الرأي والمناقشة

وتوصلت هذه الدراسة إلى التوصيات التالية:

١- إعادة نور المسجد الذي لدى نورا عظيماً منذ ظهور الإسلام.

٢- حرية للمعلم في اختيار الكتاب الذي يدرس منه

٣- أن يكون للمعلم تربوياً أي متخرج من كلية التربية.

٤- إعادة نظام الحلقات الدراسية.

وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في استخدامها للمنهج التاريخي . بينما تختلف مع البحث الحالي في تركيزها على العصر الفاطمي .

وسوف يستفيد هذا البحث من هذه الدراسة في التعرف على أن الاتفاق على التعليم في العصر الأيوبي كان يسير في اتجاهين :

أ - الاتجاه الأول : ويعتمد على الجهود الذاتية .

ب - الاتجاه الثاني : قيام بعض المسؤولين بالصرف على التعليم بإنشاء بعض المؤسسات التعليمية على سبيل المثال المدرسة الناصرية أنشأها صلاح الدين والقاهرة ٥٥٦م وبالطبع كان هؤلاء الخلفاء والوزراء يقومون بالصرف عليها.

(٤) دراسة شلبي الجعيدى: عن طبقة العامة في العصر الأيوبي^{١٧}

يهدف هذا البحث إلى توضيح دور الأيوبيين في المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية في مصر في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج التاريخي.

^{١٧} شلبي إبراهيم الجعيدى، طبقة العامة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٢م.

وكان من نتائج هذه الدراسة:

- ١- أن المذهب الشيعي لم يتغلغل في عقيدة عامة المصريين بشكل يجعلهم يؤمنون به ويدافعون عنه.
- ٢- التصوف في العصر الأيوبي تحول من حالات فردية إلى دينونة اجتماعية يشترك فيها أعداد كبيرة من عامة المصريين.
- ٣- أثرت العامة الحياة العلمية والثقافية في العصر الأيوبي.

ومن أهم توصيات هذه الدراسة:

- ١) أن تقوم وزارة الأوقاف بتوعية الناس بالوقف.
- ٢) ضرورة مساهمة الأهالي بدفع مبالغ للمساهمة في شراء الأجهزة التقنية للمدارس
- ٣) قيلم وسائل الإعلان بتبني قضية المشاركة الشعبية في التطعيم.

ويتفق هذا البحث مع هذه الدراسة في استخدامهما للمنهج التاريخي بينما تختلف مع البحث الحالي في عدم التركيز على موارد تمويل التطعيم في العصر الأيوبي.

وسوف يستفيد هذا البحث من هذه الدراسة في التعرف على أن الدولة الأيوبية أولقت بعض الأوقاف لتطعيم الفتيات حيث يبدو أن البنات نلن حظاً من التطعيم فقد خصصت لهن أماكن للتطعيم يقوم بالأشراف عليها معلمات وكان المترددات على الكتاتيب من فئات عمرية مختلفة.

خطوات البحث وإجراءاته:

للإجابة على تساؤلات البحث والتحقيق من أهدافه سوف يسير البحث وفق الخطوات التالية:

- أولاً : إلقاء الضوء على نشأة المدارس في العصر الأيوبي.
- ثانياً : الكشف عن المصادر الحكومية والأهلية لتمويل المدارس في ذلك العصورما أوجه أنفاقها.
- ثالثاً : توضيح دور الأوقاف في تمويل المدارس في العصر الأيوبي .

المدارس وتمويلها في العصر الأيوبي

١ - أسباب إنشاء المدارس في العصر الأيوبي :

بدأت فكرة إنشاء المدارس منذ عهد الرسول (ﷺ)، فطلي الرغم من أن المسجد كان المركز الأساسي للتعليم في العصر النبوي فلم يحل ذلك دون قيام الرسول (ﷺ) بالدعوة للتعليم في أماكن

أخري، حيث أحس صحابة الرسول (ﷺ) بحاجتهم إلى أماكن خاصة للتعليم وعدم الاكتفاء بالمسجد وحده كمركز تعليمي، وهذا ما فعله عبد الله بن عباس في أخريات أيامه بعد أن استوطن الطائف، حيث اتخذ من منزله معهداً للدراسة لجميع أنواع العلوم¹⁸.

هذا وتعد المدرسة ابتكار سني دون جدال، كما تعد أحد أهم مؤسسات الحضارة الإسلامية، وتخطت أهميتها الدينية والتعليمية والسياسية والاجتماعية على أية مؤسسة أخرى إسلامية مشابهة كدار العلم أو بيت الحكمة أو دار الحديث أو دار القرآن أو الخانقاه أو الربط، ولم يحتفظ بأهميته ومكانته الخاصة بين مؤسسات الحضارة الإسلامية سوى المسجد الجامع مسقط¹⁹.

وكان لإستيلاء الأيوبيين على الحكم في مصر ومحاولتهم القضاء على المذهب الشيعي أثر كبير في الحياة العلمية السائدة في مصر في ذلك الوقت. ذلك أن التعليم في العصر الفاطمي كان خاضعاً لإشراف الدولة وموجهاً نحو نشر المذهب الشيعي الذي يخالف المذهب السني في نواح عديدة، فكانت مهمة الدولة الجديدة القضاء على المذهب الشيعي والعودة بأهل مصر إلى المذهب السني وتعليم الناس أصول دينهم وتنقية العقيدة مما علق بها من أفكار شيعية متعارضة وتعاليم السنة.

لذلك لجأ الأيوبيون إلى الإكثار من إنشاء المدارس في مصر فكان ذلك بمثابة انقلاب في الثقافة والبناء على السواء. فقد زالت وحة البدعة عن جبين مصر كما أخذت الثقافات المختلفة تتدفق على مصر مرة أخرى²⁰.

وقامت المدارس في العصر الأيوبي أساساً لمحاربة المذهب الشيعي في كل من العراق والشام. أما في مصر فقد ظهرت نواة المدارس وخصوصاً بالإسكندرية وهي ما زالت مركزاً للدعوة الشيعية. ولم يكن الغرض من قيام هذه المدارس محاربة المذهب الشيعي بقدر ما كانت مظهراً من تسلم بعض الخلفاء الفاطميين بعد أن ضعفت دولتهم، وأصبحت السلطة الفعلية في أيدي الوزراء الذين دأب بعضهم لمذهب السنة أو على الأقل أظهر تسامحهم معهم بقصد التقرب إلى المصريين الذين كانت عواطفهم سنية²¹.

¹⁸ محمد أبو غنيم، تطور التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٣ م، ص ٣٣

¹⁹ عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م، ص ٨٩

²⁰ Stanley Ian pool, The history of Cairo, London, 1902, p. 191

²¹ عبد الفتى عبد العاطي، مرجع سابق ص ٥١، ٥٢

واستمر الوضع قائما بمصر على هذا النحو إلى أن بدأت الحياة السياسية تتغير بظهور صلاح الدين على مسرح الأحداث في عهد الخليفة العاضد، ذلك أن صلاح الدين الأيوبي ما كاد يلي منصب الوزارة في مصر عقب وفاة عمه أسد الدين شيركوه (٥٦٤هـ - ١١٦٨م)^{٢٢} حتى سيطر على أمور الدولة ولخذ يعمل شيئا فشيئا للقضاء على الدولة الفاطمية مههد لذلك بالقضاء على بعض المظاهر الشيعية مههدا للتغيير الذي عزم عليه.

ثم خطى صلاح الدين خطوة أكثر أهمية في التمهيد للقضاء على الفكر الفاطمي فبدأ في إنشاء المدارس في مصر، والحق أن كلا من نظام الملك ونور الدين اتخذوا المدرسة مركزا لمحاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني إلا أن صلاح الدين وجد نفسه في موقف أكثر صعوبة فالفاطيون متمكنون في مصر منذ أكثر من قرنين من الزمان ولهم دعوتهم وفكرهم وحياتهم الثقافية^{٢٣}.

فكان لابد لصلاح الدين أن يقابل هذا التراث بنفس سلاحه وهو سلاح العلم، وتتمثل خطورة تلك الخطوة التي أقدم عليه صلاح الدين في أن الخلافة الفاطمية قلعة ولا يزال المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة مع احتمال ما قد يتعرض له من مناهضة المتعصبين والمتعاطفين مع الفاطميين سواء كانوا من الشيعة أو السنيين^{٢٤}.

٢ - الإتفاق على المدارس وتمويلها في العصر الأيوبي :

على الرغم من كثرة عدد المدارس التي أنشئت في العصر الأيوبي إلا أننا لم نعثر في المصادر أو المراجع التاريخية ما يفيد بأن الدولة كان بها سياسة معينة للتمويل تسير وفقها هذه المدارس أو تلتزم بأحكامها، إلا أن حجج الوقت والحبوس التي حبست عليها كانت بمثابة الدستور الذي نظم للحياة بتلك المعاهد الدراسية، إذ لم يقتصر أثر الأوقاف على الموارد المالية فقط فحسب بل شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والإدارية ومن ثم فانه يمكن القول بأن حجة الوقف كانت أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمدرسة التي تتضمن الأسس التربوية للتعليم موضحا بها الشروط الواجب توافرها في الدارس والمدرس على حد سواء.

أولاً: تمويل البناء:

ينبغي علينا في ذلك الموضوع أن نميز بين نوعين من المدارس في العصر الأيوبي وهما

^{٢٢} القرطبي، السلوك، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٣

^{٢٣} Ian pool , The story of Cairo , p. 183

^{٢٤} عبد الفتى عبد العاطي، مرجع سابق ص ٥١ ، ٥٢

المدارس الحكومية والمدارس الخاصة.

أ- المدارس الحكومية:

وهي المدارس التي أنشأها سلاطين البيت الأيوبي وكان أول ما يميزها عن غيرها هو أن أمكن إنشائها كان يختار بغاية²⁵. بحيث يضمن لها البقاء والاستمرار فأما أن تكون بجوار جامع له من الشهرة والمكانة الواسعة كالمدسة الناصرية الأولى و كذلك المدرسة القمحية للتلان أنشأها صلاح الدين بجوار الجامع العتيق أو بجوار احد المشاهد العلة كالمشهد الحسيني ومشهد الأمام الشافعي و أما أن تكون جزءا من جملة القصر الفاطمي وبالمواضع العائرة كخط بين القصرين و بالأسواق الكبيرة²⁶.

ولكى نوضح أهمية تلك النقطة ينبغي علينا أن نشير الى ما كتبه المقرئى عن الأسباب التى عجلت بخراب المدرسة العائشورية وفي ذلك يقول وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طوال الأيام مظلة لا تفتح الا قليلا فإتباعها فى زقاق لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب اليهم فى النسب²⁷

ومن ناحية أخرى لقد تميزت المدارس السلطانية باتساع بناءها وعظم تأسيسها، وعلى الرغم من أن النصوص التاريخية التى توافرت لنا قد أوضحت ذلك إلا أنها لم تعطينا الرد على تساؤل هام حول ما إذا كانت تلك النفقات السلطانية من بيت مال المسلمين أم من أموالهم الخاصة، ومن تلك النصوص الهامة ما دونه ابن جبير من مشاهدته فى السنة (٥٧٨ هـ - ١١٨٢ م) فيما كان يجري بجوار القبر الشافعي إذ يقول " ويأثره - أى القبر الشافعي - مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أفضل بناء، يخول لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته والبناء فيها من السعة والنفقة عليها لا تحص وتولى ذلك بنفسه الشيخ الأمام الزاهد المعروف نجم الدين الخبوشاى وسلمان هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ويقول زد احتفالا وتأنقا وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله فسبحان الذى جعله صلاح دينه كسبه²⁸

والذى يزيد الأمر غموضا حول تلك النقطة ما كتب عن صلاح الدين نفسه قبل زوال الدولة الفاطمية وأثناء زيارته للعاضد آخر خلفائهم من بنائه لمدريتين احدهما كانتا سجنًا للمعونة وهى

²⁵ أحمد فراد سيد احمد، نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبي بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٣، ص ٢٨١

²⁶ ابن شهر، الفضال الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، مل للهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩ م، ص ١٩٠.

²⁷ المقرئى، المخطوط، مرجع سابق، ص ٣٦٨

²⁸ ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، لبنان - بيروت، ١٩٨١، ص ٥

الناصرية الأولى وأما الأخرى فهي التي كانت دارا للفرز فحولها صلاح الدين إلى المدرسة التي عرفت فيما بعد باسم المدرسة القمحية²⁹.

وبالطبع فإن هذين الموضوعين كانا من بين ممتلكات بيت المال، وكذلك الأموال التي أنفقت على بنائها كانت أيضا أموال خاصة ببيت المال ولا نستطيع قبول ذلك إلا على اعتبار أن صلاح الدين كان قد أطلعت يداه في أموال الخلافة الفاطمية يتصرف فيها كيفما يشاء إلى الحد الذي ينفق منها على بناء مؤسستين كهاتين المدرستين لدراسة فيهما فقه مالك والشافعي، ومن الطبيعي أن يستمر هذا الحال في زيادة لا سيما بعد زوال الدولة الفاطمية، وانفراد صلاح الدين بالملك³⁰.

وإذا كان ذلك هو الحال في دولة صلاح الدين فقد فتح خلفاؤه من بعده (ولده العزيز وأخوه العادل) بما أحدثه في ذلك للجانب، فكانت أول مدرسة حكومية تقابلنا بعد ذلك العصر المدرسة الكاملة، والتي حكي عنها ابن إياس لنا بقوله (إن البناء فيها قد استمر طوال سبع سنوات حتى تمت في سنة (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) وقيل لما حضر أساس هذه المدرسة وجد فيه صنم كبير من الذهب فأمر الملك الكامل أن يسبك دنانيرا ويصرف منه على بناء هذه المدرسة)³¹.

وكانت المدرسة الصالحية آخر المدارس السلطانية التي ينطبق عليها نفس الشيء فقد استمر البناء بها سنتين (١٣٩هـ: ٦٤١هـ - ١٢٤١م : ١٢٤٣م) كذلك ذكر لنا المقرئ أن الصالح أيوب كان قد استخدم أسري الفرنج في بناء المدرسة الصالحية³²، وعلى الرغم من قيام الصالح نجم الدين أيوب بعمله الضخم هذا والذي خلد اسمه على مر العصور التالية إلا أنه وعلى حد قول النويري ندم على بناء تلك المدرسة بعد إتمامها وتمنى لو كان قد بني جامعاً³³ ولا نعلم عن الأسباب التي دعت الصالح للندم على بناء المدرسة أي شيء يذكر.

ب- المدارس الأهلية :

جاءت هذه المدارس أقل من المدارس الحكومية من حيث الاتساع حيث أن إمكانيات الأفراد أقل من إمكانيات الحكومة الأيوبية، وأول ما يمكن الإشارة إليه في ذلك الصدد أن مدارس الوزراء والأمراء

²⁹ ابن شاهين، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الداب، جامعة طنطا، ١٩٩٩، ص ١٣٥

³⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٦٤

³¹ Mohmud Ahmed, guid des principaux monuments arabes du caire, Impimeire nationale, Bulak, cairo, 1939, p.103

³² المقرئ، السلوك، مرجع سابق، ص ٣٠٥

³³ النويري، نهاية الأرب، ج- ٢٩، تحقيق السيد الباز العربي، دار الكتب، القاهرة، ص ٢٨١

جاءت مشابهة الى حد كبير لمدارس الملوك والسلاطين مثل المدرسة التقوية التي اشترى مؤسسها تقي الدين عمر موضعها من بيت المال، والتي كانت في موضع متميز وهو الأمر الذي سهل لها مهمة القيام بدورها المطلوب وينطبق ذلك ايضا على المدرسة السيفية والتي كانت في الأصل موضعاً يمكنه مؤسسها سيف الإسلام طغتكين، ونفس الشيء يقال على المدرسة الشريفة والمدرسة الفخرية، وكذلك المدرسة الفاترية والتي قال ابن العميد عن مؤسسها الاسعد شرف الدين بن هبة الله الفاتري " انه كان له أموال كثيرة وعمر مدارساً ومساجداً وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة"³⁴

أما بقية الطوائف فقد سارعوا الى محكاة سادتهم فكانوا يبذلون كل ما هو غالي ورخيص ، فهذا شمس الدين الخواص مسرور قد أوصى ببناء مدرسة من ثمن ضيعة له بالشلم، وكذلك كانت مدرسة ابن رشيق من جملة الأموال التي جمعت من للتجار الوافدين من بلاد التكررو"³⁵ ، وقد ينطبق ذلك أيضاً على مدرسة ابن حريم للتاجر الصقلاني ومدرسة الزكي للتاجر وغيرهم ممن ساهموا في إحياء تلك الحركة بمصر في العصر الأيوبي .

ومعنى ذلك ان للتجار في العصر الأيوبي بمصر قد لعبوا دوراً كبيراً في إنشاء المدارس وتمويلها إذ لم يقتصر بناء المدارس وتمويلها على السلاطين والأفراد بل امتد الى التجار كما رأيناه خلال العرض السابق.

ثانياً : الأوقاف :

لم يغفل بناء المدارس بمصر عن وقف الأوقاف عليها حتى تؤدي رسالتها على خير وجه ولم يكن ذلك الاتجاه غريب في المدارس الأيوبية بمصر، بل سبقهم الى ذلك بناء المدارس في العالم الإسلامي من قبلهم، وبالطبع فإن تلك الأوقاف والحبوس كانت تؤول الى ديوان الاحباس الذي صار من بين مهامه الرئيسية الإشراف على أوقاف المدارس³⁶

ولم تغف نفقات صلاح الدين وخلفاؤه عند ذلك للحد بل تعدتها الى الإنفاق على المدارس التي أنشأت بمصر والشام على وجه العموم سواء كان هو واقفها أو غيره وذلك من أموال بيت المال وفي ذلك يقول ابن جببر (العجب ان بالقرافة المذكورة مساجداً مبنية ومشاهدة مغمورة يلقى إليها الغريباء والفقراء والعلماء والأمرء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان في كل شهر،

³⁴ ابن العميد (الملكين جرجس بن العميد) ، أخبار الأيوبيين ، طبع المهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٤٤

³⁵ المقرئى ، الخط ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨

³⁶ النابلسي (عبدان بن ابراهيم) ، مع القوانين المحيطة في دواوين الديار المصرية ، مكتبة الطاعة الدينية ، القاهرة ، ص ٢٥

والمدارس التي في مصر والقاهرة كذلك، وقد تحقق عندنا أن الأمراء على ذلك كله نفق على الفى ديناراً مصرية في الشهر، وما منها - أى مصر - جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية مع القصور ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوى إليها ويلزم السكن بها وتهون عليه فى ذلك نفقت بيوت المال³⁷

ويروى لنا المقرئى فى نفس الاتجاه أن صلاح الدين لما دخل إلى دمشق فى السابع والعشرين ذى القعدة سنة ٥٧١هـ - ١١٧٥ م وكان دخوله يوماً مشهوداً فأحسن إلى الناس وخلع على الأعيان وتصنق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم وسار به خمسة عشر يوماً إلى بعلبك فرتب لحوالها وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم وسار إلى بصرى وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير سيف الدين غازى نقب للملك الصالح إسماعيل فتصنق على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم³⁸

وهناك معلومات أخرى متفرقة فى المصادر التاريخية تشير إلى اهتمام صلاح الدين بأحوال العلماء والفقهاء من الناحية الاقتصادية وذلك لضمان استمرارهم فى العطاء، ومن ذلك ما ذكره ابن شداد من أن صلاح الدين - قد مر على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة³⁹، كذلك لما ذكره المقرئى من أن صلاح الدين كان قد أوقف صادر الفرنج "على الفقهاء بالإسكندرية"⁴⁰

هذا وتعتبر الأوقاف من أهم الموارد المالية التي استخدمت فى تمويل المدارس فى العصر الأيوبي، حيث نجد أن السلطانين نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي قد أوقفا الكثير من الأحباس على المدارس وذلك لمحاربة المذهب الشيعي وتنصرة المذاهب والعقائد السنية⁴¹، وذلك على أساس أن الأوقاف هي التي تثبت أركان المدرسة وتدعم نظامها وتمكنها من القيام بمراسلتها⁴².

وهكذا نرى أن الأوقاف والإقطاعات لعبت دوراً هاماً فى استمرار تلك المدارس فى أداء مهمتها التعليمية خلال العصر الأيوبي، فالمقرئى يذكر لنا عبارات عند ذكره للمدارس تدل دلالة واضحة

³⁷ ابن جبير، رحلة ابن جبير، مرجع سابق، ص ٥١ - ٥٣

³⁸ المقرئى، السلوك، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٦

³⁹ ابن شداد، الوارد السلطانية، تحقيق جمال الدين الشيال، النجدة المصرية للأدب والفن، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٩

⁴⁰ غنائم الحرب مع الفرنج

⁴¹ المقرئى، السلوك، مرجع سابق، ص ٦٣

⁴² غلاف صوة، المدارس فى العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٣

⁴³ سعيد إسماعيل علي، الأصول السياسية للتربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٦

على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس لأنها تعمل على تثبيت أركانها وتكفل لها الاستقرار والاستمرار وتجنبها الانحلال والذوال، ومن هذه العبارات التي نكرها المقريزي عن حديثه عن المدرسة الناصرية الأولى (انه لولا ما يتناوله الفقهاء من المعطوم لخربت فإن المزايل ملاصقة لها بعدما كان حولها أجمل موضع للدنيا)^{٣٦} ويقول كذلك عن حديثه عن المدرسة القمحية (وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء فيها لانثرت)^{٣٧} وإذا تتبعنا الأوقاف التي صبت على مدارس مصر الأيوبية لرأينا أن كل مدرسة كان لها وقف معين وذلك للإتفاق عليه.

فقطي سبيل المثال نجد أن المدرسة الناصرية التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي، رتب لها بعض الأراضي والعقارات للإتفاق من ريعها على مصاريف المدرسة، ونفع مرتبات المدرسين والطلبة^{٣٨}، كما أوقف عليها صلاح الدين كذلك إحدى القرى والصاغة التي كانت بجوارها^{٣٩}

لما للمدرسة القمحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي فقد أوقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر وكذلك أوقف عليها ضيعة بالفيوم تعرف بالجنيوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدد من الطلبة^{٤٠}.

لما عن سبب تسمية هذه المدرسة بالقمحية، فذلك لأن معطوم المدرسين والطلبة كان يفرق عليهم قمحاً، ويذكر ابن دقاق أن هذه المدرسة قسمت إلى أربع زوايا، أي أن كل مدرس اختص هو وطلبه بزواية منها، وربما يكون هذا هو بداية للتطور الذي شهدته المدارس في مصر وأدى إلى ظهور المدارس ذات الأولوين الأربعة والتي خصص بعضها لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة^{٤١}

كذلك نجد أن المدرسة السيوفية التي أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي لتدريس الفقه الحنفي^{٤٢} قد أوقف عليها سنة ٥٧٢هـ — اثنين وثلاثين حاقوتاً بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجون^{٤٣}.

^{٣٦} المقريزي، المخطط، ج ٢ مرجع سابق، ص ٣٦٤.

^{٣٧} المرجع نفسه، نفس الصفحة.

^{٣٨} أبو العباس شمس الدين ابن علكان، وليات الأعيان، ج ٦، دار الفلاحة، بيروت - لبنان، د.ت، ص ٢٠٦.

^{٣٩} هي الدين المقريزي، المخطط القروية، ص ٢٠، مرجع سابق، ص ٣١٥.

^{٤٠} المقريزي، المخطط، ص ٢، مرجع سابق، ص ٣١٣.

^{٤١} عبد الله بن عبد الحفيظ، العلم في مصر زمن الأيوبيين، مرجع سابق، ص ٥٣.

^{٤٢} طاف صوه، للمدارس في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص ١٥٤.

^{٤٣} المقريزي، المخطط القروية، ج ٢، مرجع سابق، ص ٣١٦.

وكان للملك الكامل الأيوبي جهوده الواضحة في مجال إنشاء المدروس وتمويلها ، فقد أنشأ المدرسة الكلامية في سنة إحدى وعشرين وستمئة⁵¹ ، وقام بترتيب الأوقاف اللازمة للصرف من ريعها على المدرسة وأساتذتها وطلبتها ، كما أنشأ فيها منازل سكن بها الطلبة والمدرسون ، وجعل لها خزنة كتب جعل عليها أحد الرجال المثقفون⁵² ، كما أوقف الملك الكامل على هذه المدرسة الربع الذي كان بجوارها على باب الخرنفش ويمتد إلى السرب المقابل للجامع الأحمر⁵³ .

كذلك قام الملك الصالح نجم الدين أيوب ببناء المدرسة الصالحية في سنة تسع وثلاثين وستمئة⁵⁴ وكانت هذه المدرسة بخط بين القصرين⁵⁵ ، وقد أوقف الملك الصالح نجم الدين أيوب هذه المدرسة على طوائف الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ، وبذلك تكون المدرسة الصالحية أول مدرسة بمصر تشمل دروساً أربعة في مكان واحد⁵⁶ .

وبعد أن قام الملك الصالح ببناء هذه المدرسة نزل إليها من القلعة في جمع من الأمراء ، ومد سلطاناً حافلاً بمختلف أنواع الأطعمة ليلكل جميع المدعوين ، وقد سار على هذا العرف جميع السلاطين الأيوبيين عند الفراغ من بناء المدرسة ، وبعد ذلك أجري الصالح نجم الدين أيوب بعض الأوقاف للإتفاق من ريعها على هذه المدرسة⁵⁷ .

وهكذا يمكن أن نلاحظ كيف قام صلاح الدين وخلفاؤه من بعده بالاهتمام بالمدروس والعمل على زيادتها والإتفاق عليها وتمويلها ، ولذلك فلا غرابة أن نرى طائفة كبيرة من رجال بيته وكبار رجال دولته اقتنوا به فأثقلوا المدارس من ثرواتهم الخاصة وأوقفوا عليها الأوقاف مما جعلها لا تقل أهمية وعظمة عن المدارس السلطانية .

فطى سبيل المثال نجد أن القاضي الفاضل قام بإنشاء مدرسة أطلق عليها المدرسة الفاضلية وذلك لتدريس فقط مذهبي مالك والشافعي بالتدرب المعروف بتدرب ملوخيا⁵⁸ ، وقد استفتح التدريس

⁵¹ جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٦٢

⁵² طيف صوه ، للرجع السابق ، ص ١٥٥

⁵³ القرظي ، للرجع السابق ، ص ٣٣٥

⁵⁴ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة ميسى الخلى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٦٣

⁵⁵ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين للمالك ، ج ٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٣٩

⁵⁶ القرظي ، الحفظ ، مرجع سابق ، ص ٣٣٤

⁵⁷ نصر جمعة نصر ، الحياة العلمية في عهد مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٥

⁵⁸ عبد النبي عبد الحلي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين ، مرجع سابق ، ص ٦١

بهذه المدرسة يوم السبت مستهل المحرم سنة ثمانين وخمسائة⁵⁹، وقد أوقف القاضي الفاضل علي مدرسته هذه جملة عظيمة من الكتب في سائر أنواع العلوم ويقال إنها مائة ألف مجلد، كما قام بتوفير الأوقاف للمدرسة الخروبية⁶⁰.

تلك نجد أن المدرسة للخروبية التي أنشأها تاج الدين محمد للخروبي، قد جعل لها مكتب سبيل وأوقف عليها الأوقاف⁶¹.

أما المدرسة السروبية التي أنشأها خدام القصر شمس الدين الخواص سرور⁶²، فقد أوقف عليها فندقاً صغيراً⁶³.

وهناك مدرسة منازل للعز وهذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين شيدتها أم الخليفة العزيز بالله ابن المعز وعرفت بمنازل العز، فلما زالت الدولة الفاطمية علي يد صلاح الدين الأيوبي أنزل في منازل العز الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة، ثم أنه اشتراها ابن أخي صلاح الدين الأيوبي وحولها إلى مدرسة لتدريس الفقه الشافعي⁶⁴.

وقد أوقف تقي الدين عمر مجموعة من الأوقاف للإتفاق علي هذه المدرسة، ومنها الحمام المجاور لها، وحول الأصطبل المجاور لها الي فندقاً عرف باسم فندق النخلة ووقفه عليها، وكذلك أوقف جزيرة مصر التي اشتراها وعرفت بالروضة، وقد أطلق علي هذه المدرسة اسم المدرسة التقوية وذلك نسبة إلى الأمير تقي الدين عمر⁶⁵.

وهناك كذلك المدرسة الأركشبية التي شيدها الأمير سيف الدين يزكوج الأسدي مملوك أسد الدين شيركوه أحد أمراء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، حيث جعلها وفقاً علي الفقهاء الحنفية فقط في سنة ٥٩٢هـ⁶⁶.

⁵⁹ المقرئ، المخطوط المقرئ، ج ٣، مرجع سابق، ص ٣١٩

⁶⁰ عفا صوره، مرجع سابق، ص ٢٠٨

⁶¹ عفا صوره، المدارس في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص ١٩٤

⁶² للمرجع السابق، نفس الصفحة

⁶³ المقرئ، المخطوط، ج ٣، مرجع سابق، ص ٣٣٤

⁶⁴ نصر جمعة نصر، الحياة العلمية في عهد مصر، مرجع سابق، ص ٣٦

⁶⁵ عفا صوره، المرجع السابق، ص ١٥٧، ص ١٥٨

⁶⁶ ابن دقماق، الإنصار، ج ٤، بولاق - القاهرة، د. ت، ص ٩٨

كذلك أوقف ابن الأرسوفى على مدرسته التي أوقفها على الفقهاء الشافعية بمصر أوقافاً كثيرة ذكرها لنا ابن دقماق وهي حوتيت دخل البزازين ودخل الزقاق المسنوك فيه على النخالين والقيسارية الكبرى ذات البابين المقابل بعض حوتيتها لبعض حوتيت شبل الدولة بجميع حوتيتها التي يبطلنها وظاهرها وجميع القيسارية للصغرى الملاحقة لجدار هذه القيسارية القبلى المتوصل إليها من زقاق العائد^{٦٧}.

والمدرسة الفائزة التي أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهب الفارزي قبيل وزارته في سنة ٦٣٦هـ —^{٦٨} (١) ومن أوقفها الحمام المجاور لها ومنزلان علو بعضها حوتيت أسفل ذلك بفندق^{٦٩} (٢) .

هذا ولم يقتصر إنشاء المدارس والإنفاق عليها على الرجال من سلاطين وأمراء وكبار رجال الدولة الأيوبية وإنما تعداه إلى الأميرات اللاتي شاركن في هذه النهضة العلمية التي اتسم بها العصر الأيوبي . حيث أنشأن المدارس تقريباً إلى الله تعالى وأوقفن عليها الأوقاف الجزيلة للإنفاق عليها وعلى الأيتام من الطلبة المسلمين^{٧٠}.

فعلني سبيل المثال المدرسة القطبية التي أنشأتها الأميرة عصمة الدين مؤمنة خاتون ابنة الملك العادل وأخت الملك الكامل. حيث أوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء. ويشتري لها وقف وكانت هذه المدرسة مخصصة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي والحنفي^{٧١}.

ولعل ما قامت به هذه الأميرة يؤكد أنها لعبت دوراً كبيراً في العصر الأيوبي. ويؤكد المقرئزي أنها سمعت الحديث وخرج بها الحافظ أبو العباس أحمد^{٧٢}. أحاديث ثمانيات حدثت بها. وقبيل وفاتها أوصت ببناء هذه المدرسة للفقه ولعلوم القرآن ولذلك اشترت وفقاً جعلت إيرادها بصرف على هذه المدرسة^{٧٣}.

^{٦٧} المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٣، مرجع سابق، ص ٣٢٢

^{٦٨} غلاف صيرة، المدارس في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص ١٥٩

^{٦٩} المقرئزي، المرجع نفسه، ص ٣١٨

^{٧٠} غلاف صيرة، المرجع السابق، ص ١٦١

^{٧١} نصر جمعة نصر، مرجع سابق، ص ٣٧، ص ٣٨

* هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الخورججي الأنصاري الرمي البلسي ينتهي نسب إلى

الصحابي الجليل سعد بن عباد كبر الأنصار وسيد الخرج، وصاحب المواقف المشهورة يوم سقاية بني ساعدة يوم أن احتللت الأنصار والمهاجرين بعد وفاة الرسول (ص) فكانت لكلماته وتوجيهاته الفضل الأكبر في توحيد كلمة المسلمين بعد أن كان الراءع علي الخلافة يوشك أن يفرق بين المهاجرين والأنصار (جمال الدين الشيال، اعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٩٢)

^{٧٢} غلاف صيرة، المدارس في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص ١٦١، ١٦٢

وكذلك المدرسة العاشورية التي أنشأتها الست عاشوراء بنت سلروح الأسدي زوجة الأمير يازكوج الأسدي، وكانت هذه المدرسة أساساً داراً للطبيب اليهودي ابن جميع كاتب بهاء الدين قراقوش علي عهد صلاح الدين الأيوبي، فقامت الست عاشوراء بشرائها وأوقفت عليها الأوقاف وذلك لتدريس الفقه علي المذهب الحنفي⁷³.

إلى جانب هذه المدارس التي أنشأها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة الأيوبية وقاموا بتمويلها والإنفاق عليها وجدت مدارس خاصة أنشأها بعض المتبرعين وذلك مثل المدرسة الفارسية التي أنشأها فارس الدين الحبكي حيث بناها علي أنقاض كنيسة للنصارى ووقف عليها وقفاً⁷⁴.

وكذلك المدرسة الشريفة التي أنشأها فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري الزيني، وقد كانت هذه المدرسة في بداية الأمر سكناً للفقيه ووقف عليها كل أملاكه وكذلك فعل مع غيرها⁷⁵.

وهكذا نجد أن أبناء البيت الأيوبي قد ساهموا مساهمة فاعلة في الحياة العلمية والفكرية في مصر وبلاد الشام، ولذلك نجد أعداداً كبيرة من العلماء وطلاب العلم قد وفدوا إلى مصر في العصر الأيوبي وذلك لما وجدوه من رعاية وعاية وحسن معاملة من قبل السلاطين الأيوبيين، حتى أصبحت مصر مقصداً لكل طالب علم وملجأ آمناً لكل ذي علم⁷⁶.

ومن خلال العرض السابق نرى أن الأوقاف والإقطاعات لعبت دوراً هاماً في استمرار تلك المدارس في أداء مهمتها التعليمية خلال العصر الأيوبي، فالمقريزي يذكر لنا عبارات عن ذكره للمدارس تدل دلالة واضحة على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس في العصر الأيوبي لأنها تعمل على تثبيت أركانها وتكفل لها الاستقرار والاستمرار وتجنبها الانتثار والذوال، ومن هذه العبارات التي ذكرها المقريزي عن حديثه عن المدرسة الناصرية الأولى (أنه لولا ما يتناوله الفقهاء من المعطوم لخربت فإن المزابل ملاصقة لها بعدما كان حولها أجمل موضع للدنيا)⁷⁷ ويقول كذلك عن حديثه عن المدرسة الفمحية (وقد احاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء فيها لانتثرت)⁷⁸.

⁷³ غاف صبره، المرجع السابق، ص ١٦٢

⁷⁴ المقريزي، الخطط، مرجع سابق، ص ٣٦٢

⁷⁵ غاف صبره، مرجع سابق، ص ١٥٩، ١٦٠

⁷⁶ نصر جمعة نصر، الحياة العلمية في عهد مصري المهندسين الأيوبي والملوكي، مرجع سابق، ص ٣٨، ص ٣٩

⁷⁷ المقريزي، الخطط، ج ٢، مرجع سابق، ص ٣٦٤

⁷⁸ المرجع نفسه، ص ٣٦٤

والحق أن أوقاف المدارس في العصر الأيوبي قد ساهمت وبشكل كبير في استقرار أحوال المدرسين والمعبدن والطلبة، فقد كانت رواتب هؤلاء عالية ولائقة بمنزلتهم ومكانتهم وفي ذلك يقول المقرئى خلال حديثه عن المدرسة السيوفية (أن صلاح الدين قرر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي ورتب له في كل شهر لحد عشر ديناراً وبالق ريع الوقف بصرفه على مايراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقتهم وجعل للنظر لمجد الدين الجبتي ومن بعده الى من له النظر في أمور المسلمين)^{٧٩}

نتائج وتوصيات البحث

أولاً: نتائج البحث

كان الاهتمام بالعلم والتعليم و الاتفاق على المؤسسات التعليمية صفة بارزة في العصور الإسلامية الزاهرة، وكانت الدولة الأيوبية في مصر من الدول الإسلامية التي اهتمت بالتعليم، والدليل على ذلك كثرة المدارس والكتاتيب التي تشلت في العصر الأيوبي.

وقد اتفق السلاطين الأيوبيين الأموال الطائلة في إنشاء المدارس والكتاتيب والمكتبات ورعاية المدرسين والطلاب، وتوفير المناخ المناسب للبحث والدراسة.

ومن اهتمام الأيوبيين بالتعليم والاتفاق عليه نستخلص النتائج التالية:

١ : الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والاتفاق عليها:

لقد كان للأيوبيين فضل في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية في مصر في العصور الوسطى، وتمثل ذلك في الاهتمام بإنشاء المدارس والكتاتيب والمكتبات وغيرها من المؤسسات التعليمية، فقد اهتم الأيوبيين بإنشاء المدارس منذ قدومهم الى مصر ذلك لتحويل مصر من المذهب الشيعي الى المذهب السني.

ومما لا شك فيه ان هذه المجموعة الضخمة من المؤسسات التعليمية التي تشلت في العصر الأيوبي قد احتاجت الى موارد مالية كبيرة للاتفاق عليها ودعم العملية التعليمية، ورفع المرتبات للأستاذة والهيئة العلمية، وكذلك الاتفاق على الطلبة حتى تتيسر لهم سبل العيش الكريم

كذلك حرص السلاطين الأيوبيون على إنشاء المكتيب وذلك لما لها من دور في تعليم الفقراء واليتامي، حيث تؤكد العديد من المصادر على أن صلاح الدين الأيوبي أول من أنشأ من العديد المكتاتب ولوقف عليها الاوقاف الكثيرة .

كذلك حرص السلاطين الأيوبيون على إنشاء المكتبات، ذلك لأن المكتبات لوخزقة الكتب قد لعبت دوراً كبيراً في شراء الحياة العقلية والعلمية في العصر الأيوبي، لذلك حرص الأيوبيون على تخصيص الاوقاف للإنفاق على المكتبة وموظفيها .

ثانياً : توصيات البحث

في ضوء نتائج هذا البحث يمكن استخلاص التوصيات الآتية:

أولاً: توصيات خاصة بالمدارس:

١. ضرورة الاهتمام بالمدارس والاتفاق عليها، وذلك من خلال التوسع في إنشاء المدارس في القرى والمناطق النائية المحرومة من التعليم، وذلك حتى يصل التعليم إلى جميع أفراد المجتمع المصري .

٢. مساهمة الأهالي بالتبرع بالمبالغ المالية لشراء أجهزة كمبيوتر أو أجهزة التقنية الحديثة للمدارس .

٣. شراء كتب لتزويد المكتبات المدرسية بها، وهذه الكتب قد تكون غير مكلفة، وضرورة الاهتمام بمكتبات المدارس في مرحلة التعليم الاسمي لغرس حب القراءة والاطلاع لدى الأطفال .

٤. التوسع في إنشاء مدارس الفصل الواحد لتعليم المتسربين من التعليم الرسمي من خلال تبرعات الأهالي

٥. الاهتمام بمعاهد التعليم الاخرى مثل المستشفيات الجامعية كمعاهد علم، ويمكن لرعاية المرضى، وحث أفراد المجتمع بكل طوائفهم على المساهمة في الاتفاق عليها وتطويرها

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- ١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١١، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٧
- ٢ - ابن أسعد الياقبي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان)، مرآة الجنان وعبر الیقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٧٠ م.
- ٣ - ابن العميد، أخبار الأيوبيين، طبع المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٨ م.
- ٤ - ابن إيس (أبو البركات محمد بن أحمد)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، للهيئة العربية للعلماء للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- ٥ - ابن حجر الصقلاني، وقع الأثر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٠ م.
- ٦ - ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنتلي الأندلسي) رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١ م.
- ٧ - ابن شداد (بهاء الدين أبي المحاسن يوسف)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق د/جمال الدين الشبال، اللجنة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ٨ - ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ٩ - ابن دقماق، الإتصار، بولاق - القاهرة، د. ت.
- ١٠ - أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٦، دار الثقافة، بيروت - لبنان، د. ت.
- ١١ - الدارودني (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد)، طبقات المفسرين، بيروت - لبنان، ١٩٨٣ م.
- ١٢ - السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب)، معین للنعم ومبيد للنقم، تحقيق محمد علي النجار أبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- ١٣ - السلامي (أبو المعالي محمد بن رافع)، منتخب المختار في تاريخ علماء بغداد، تحقيق عباس الفروى، مطبعة الأهالي، بغداد، ١٩٣٨ م.
- ١٤ - القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي)، صبح الأعشى، تحقيق محمد حسنين شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.

١٥ - المنزرى، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م.

١٦ - النابلسي (فخر الدين عثمان بن إبراهيم)، لمع القوتين المضئفة في دولوين الديار المصرية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧ م.

١٧ - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأكب، تحقيق الباز العريني، مكتبة دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٢ م.

١٨ - تقي الدين المقرزي :

- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، تحقيق محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦ م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧ م.

١٩ - جلال الدين السيوطي :

- حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٢٠ - شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٣ م.

ثانياً : للمراجع العربية:

١ - أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٧ م.

٢ - أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩ م.

٣ - أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥ م.

٤ - سعيد إسماعيل على :

- الأصول السياسية للتربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٥ - سعيد عبد الفتاح عشور:

- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠ م.

٦ - عبد العظيم رمضان، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م.

- ٧ - عفاف صبرة و المدارس في العصر الأيوبي، بحث في ندوة المدارس في مصر الإسلامية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الهيئة المصرية للعلماء للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٨- محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
- ٩- نجلاء حامد، أمتى عبد القادر، تاريخ التربية والتعليم في مصر، مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٣.
- ١٠- نعمان سليمان، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١م.

ثلاثاً - الرسائل العلمية:

- ١- أحمد فؤاد سيد أحمد، نظم الحكم والإدارة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م.
- ٢ - أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في المذهب السني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٩م.
- ٣- شلبي إبراهيم الجعدي، طبقة العلماء في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٩٥م.
- ٤- عادل إسماعيل عبد الحسيب، الاتجاهات التربوية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط، ١٩٩٤م.
- ٥ - عبد الفتحي عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٦ - ماجدة محمد حسن، الثقافة والتربية في مصر على عهد بنى أيوب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنيا، ١٩٨٣م.
- ٧ - محمد عبد الرحيم أبو غنمة، تطور التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٣م.
- ٨- نصر جمعة نصر، الحياة العلمية في عصر مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- 1 - Mohmud Ahmed , guid des principaux monuments arabesdu cairo , Impimeire nationale , Bulak , caire , 1939.
- 2 - Stanley lan pool , The history of Cairo , London , 1902 .